أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأثره في إقناع المتلقي

-سورة يونس أنموذجا-

أ.عبد الباقي مهناوي

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف -ميلة

ملخص:

يندرج هذا المقال ضمن الدراسات اللغوية البلاغية للنص القرآني، والتي تتعلق ببعض جزئيات الأسلوب البلاغي في القرآن الكريم.

ومما لا يختلف فيه عقلان أن قضية إعجاز القرآن الكريم شغلت ألباب وعقول النحويين والبلاغيين، فانكبوا باحثين في هذا الأسلوب المعجز الذي حير العقول، كما بحثوا في براعة نظمه وأسلوبه، وتعدد أساليبه، وكلهم عد النظم وجها من وجوه إعجازه، ومن جملة الأساليب التي تطرقوا إليها بالدراسة أسلوب الالتفاف، الذي يعد ظاهرة بلاغية راقية لما فيه من مزايا، وما له من عطايا. فأردت أن أبرز دور أسلوب الالتفات في إقناع المخاطبين، وأتطرق إلى دراسة نماذج من سورة يونس.

Abstract:

This article is falls under the rhetorical linguistically studies of Quranic texts, which is linked to some details of the rhetorically style in the holy Quran.

There is no difference about the question of the holy Quran miracle has preoccupied the minds and brains of the grammarians and the rhetoricians, they have devoted their research in this miraculous style that has baffled the brains, also they have sought for its styled and organized cleverness as well its multiplicity methods and all them have considered its organization as a face of its miraculous aspect.

Among a collection of styles that they have mentioned by study swirling style which is regarded as an upscale rhetorical phenomenon contained for its advantages and gifts; so I wished to illustrate the role of swirling style to convince the addresses and I move to study models of Yunus Chapter.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

مقدمة:

القرآن الكريم كلام الله الذي أبهر الفحول وأعجز القروم وأفحم أرباب البلاغة والبيان، أعجز الثقلين ببراعة نظمه وجودة أسلوبه.

فأسلوبه خارج عن جميع الأساليب المعهودة، نظمه بديع وتأليفه عجيب، خاطب العقل بشتى أنواع الأساليب وابتعد عن القسر والإكراه والفرض والحتم.

ولقد اشتمل على الأساليب التي يعجز العادّ عن عدّها. وحمل من الخبايا والأسرار ما أعيا الفكر عن إدراكها. فهو يقنع العقل البشري إقناعا تاما يجعله ينقاد ويسلم بالحقائق كلية، وينجم ذلك عن تلك الأساليب الإقناعية التي زخر بها القرآن الكريم، وعن تلك الوسائل التي استخدمها في خطاب العقل فتارة يحاور وتارة يجادل وأخرى يحاجج وغير ذلك.

ومن جملة الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في إقناع العقل، تلك الأساليب البلاغية وتلك اللطائف النحوية التي أبهرت الألباب أخذت من العقول موضعها ومن القلوب حظها، ومن البلاغة والبيان حسنها وجميلها. أساليب في غاية الروعة والجمال والحسن والبهاء، فما للعقل إلاّ الإقناع وما له بعد ذلك إلاّ الإتّباع.

فأسلوب القرآن يخاطب الناس على اختلاف عقولها، كي يصل بالعقل إلى الغاية الأسمى ويرقى به إلى الدرجات العلى. وأسلوب الالتفات أحد تلك الأساليب التي هي للعقل إقناع وللقلب إمتاع، فوددت أن أتناوله بالدراسة وأبرز أثره في إقناع المخاطبين ووقع اختياري لهذا الموضوع نتيجة مجموعة من العوامل أهمها:

-شغفي بأسلوب القرآن، وانشغالي بالدراسات القرآنية.

-تذوقي للطائف النحوية والبلاغية في القرآن الكريم.

-انبهاري بأسلوب الالتفات في القرآن الكريم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ووجهني إلى هذا الموضوع عينة من الكتب، كتفسير الكشاف للزمخشري وتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ومفاتيح الغيب للرازي وغير ذلك. كما اخترت سورة يونس لدراسة بعض النماذج منها.

والإشكال الذي أعالجه من خلال هذا الموضوع البسيط والمتواضع هو: ما أثر الالتفات في المعنى؟ وما سرّ قيمته البلاغية والنحوية؟

وما أثره في إقناع المتلقي؟ وما دوره في إقناع العقل وإمتاع العاطفة؟ كل هذه التساؤلات سأحاول الإجابة عنها إن شاء الله تعالى من خلال هذا البحث، والذي قسمته إلى عناصر عدة:

1-إعجاز أسلوب القرآن الكريم.

2-أسلوب الالتفات

3-أنواع الالتفات.

4-الإقناع

5-دراسة نماذج تطبيقية من سورة يونس.

1- إعجاز القرآن

قبل التطرق إلى الحديث عن إعجاز القرآن ينبغي أن أقف أولا عند التعريف.

إن «إعجاز القرآن مركب إضافي، معناه بحسب أصل اللغة: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به. فهو من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به. والتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحداهم به»[1].

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[2].

قال صاحب البرهان «فلو لا أن سماعه إياه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه ولا تكون حجة إلاّ وهي معجزة»[3].

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (50) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (51)﴾[4].

فأخبر سبحانه وتعالى أن الكتاب آية من آياته، وأنّه كاف في الدلالة، وأنه معجز.

والإعجاز شيئان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، واستمرار هذا الضعف.

ولقد كان العرب أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء، وأهل صناعة اللسان، إلاّ أن الله عز وجل تحداهم، فأعجز أساطين الفصحاء، وأعيا مقاويل البلغاء، وأخرس ألسنة فحول البيان «وذلك في عصر كانت القوى فيه قد توافرت في الإجادة

---

[1]_ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن ، د ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج2، ص 238.

[2]_ سورة التوبة، الآية: 6.

[3]_ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2004، ج2، ص 59.

[4]_ سورة العنكبوت: 50-51.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتبريز في هذا الميدان»[1].

فإذا عجز أهل الصناعة فإن غيرهم أشد عجزا وأفحش عيا، ولقد تحداهم بأن يأتوا بمثله فعجزوا قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَا يُؤْمِنُونَ (33) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (34)﴾ [2].

ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا، قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (14)﴾ [3]. ثم تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)﴾ [4].

فكان عجزهم بعد ذلك أشنع وأبشع وسجل الله عليهم الهزيمة أبد الدهر فلم يفعلوا ولن يفعلوا، ودحضت حجتهم وافتضح أمرهم وظهر أمر الله وهم كارهون. والقدر المعجز من القرآن هو ما يقدر بأقصر سورة منه.

سحر القرآن الكريم العرب وسلب عقولهم ببيانه ونظمه وروعة معانيه الخالدة، وكان الإعجاز هو روحه الحقيقة التي تسري في قارئه، فينبعث فيه الإقرار بأنّه كتاب إلهي وأن قوى الإنس والجن تعجز عن الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض

---

[1]_ الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، ص 240.

[2]_سورة الطور: 33-34.

[3]_ سور هود: 13-14

[4]_ سورة البقرة: 23-24.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ظهيرا.

فالقرآن الكريم جديد في معانيه وألفاظه في أعين العرب جميعا وعقولهم. أضف إلى ذلك أن آيات التحدي ظلت مسجلة في كتاب الله، تقرع آذان الأدباء والشعراء والبلغاء على اختلاف نحلهم ومذاهبهم في كل زمان ومكان، فما استطاع واحد منهم مهما كان عصره وتاريخه أن يسجل إلى جانب هذا التحدي عملا ما يصح أن يقال أنه قد عارض به القرآن[1].

2-الأسلوب الالتفات:

2-1-الأسلوب

أ-تعريف الأسلوب لغة:

الأسلوب في اللغة يطلق على الطريقة، جاء في أساس البلاغة «وسلكت أسلوب فلان: طريقته وكلامه على أساليب حسنة»[2].

ب-اصطلاحا:

إنّ الأسلوب في الاصطلاح يعني «الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه. أو هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم كذلك»[3].

فالأسلوب هو ذلك المسلك الذي ينتهجه المتكلم في كلامه والذي يحمل

---

[1]_ ينظر: عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ط1، دار الكتاب العالمي الجزائري، 2006، ص 24.

[2]_الزمخشري، أساس البلاغة، مادة سلب دار النفائس، دمشق حرب، د . ط، ص 282.

[3]_الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، ص 217.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مدلولات ومعاني تنحبس عن تلك الألفاظ والعبارات التي يتألف منها الكلام.

2-2-الالتفات:

تعريفه"

أ-لغة: «اللفت: أي ليُّ الشيء عن جهته كما تقبض على عنف الإنسان فتلفته... ولفّت فلانا عن رأيه أي صرّفته عنه ومنه الالتفات»[1].

ب-اصطلاحا: تعرض عدد من العلماء إلى الالتفات بالتعاريف وكلهم عدّه نقل الكلام من نمط إلى آخر ومن هذه التعاريف ما يلي:

1-« هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدرارا للسامع وتجديدا لنشاطه وصيانة لخاطره من الملال والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه»[2] .

2-«الالتفات على ضربين فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى، فإذا ظننت أنّه يريد أن يتجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به» [3].

فالالتفات تغيير في طريقة الكلام وتبديل، تنبيها للسامع أو إيقاظا لفكره وتجديدا لنشاطه وإبعادا للملل عند استدامة أسلوب واحد وتقصيه، فهو أسلوب بلاغي يستخدم خدمة للفكر الإنساني بغيبة الإدراك وبغرض الإقناع.

ولقد ورد الالتفات في القرآن الكريم، في مواضع عديدة ومتعددة، ينبه المخاطب ويجدد نشاطه كما ينقل النفس من حالة إلى أخرى بهدف إلى إقناع المتلقين

---

[1]_ الخليل بن أحمد الفراهيدي، مادة ل. ف. ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص 879.

[2]_ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 197.

[3]_ أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، المكتبة التوفيقية، مصر، ط1، 2013، ص 373.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على اختلاف عقولهم ومللهم ونحلهم، يصور الحقائق ويشخصها ويريح النفس، وفي راحتها استمرار وزيادة في القبول.

ولهذا الأسلوب البديعي الرائع فائدة عظيمة تكمن في «استمرار السامع والأخذ بوجهه وحمل النفس بتنويع الأسلوب وطراءة الافتنان على الإصغاء للقول والارتباط بمفهومه»[1] . فالانتقال من موطن إلى آخر في الكلام يجعل المتلقي ذا روح عالية في الإضفاء والقبول للقول. وذا تركيز شديد لإدراك ووعي ما يلقى إليه وبهذا يكون أسلوب الالتفات من الأساليب الإقناعية. لا سيما وأن القرآن الكريم يزخر بتلك الأساليب الجذابة التي لها وقع في النفس ومستقر في العقل.

وأسلوب الالتفات في القرآن الكريم «لا ينحصر في القول من ضمير إلى ضمير بل إنّ مفهومه ليتسع ليشمل كل تحول أو انكسار في نسق التعبير لا يتغير به جوهر المعنى أو البنية العميقة له على حد اصطلاح التحويليين» [2]. إلاّ أننا أردنا أن نتطرق بالدراسة إلى أسلوب الالتفات في التحول من ضمير إلى ضمير وتركنا الجوانب الأخرى إلى كتابتنا اللاحقة إن شاء الله تعالى.

3-أنواع الالتفات[3]:

يتفرع الالتفات باعتبار التحول من ضمير إلى ضمير إلى أنواع عدة.

أ-الالتفات من التكلم إلى الخطاب.

وهو أن ينقل الكلام من المتكلم إلى الخطاب ووجهه حثّ السامع وبعثه على

---

[1]_أبو حمد القاسم، المتنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تح على الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، د ط، د ت، ص 443.

[2]_أحسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار السلام، القاهرة، ط1، 2010، ص61.

[3]_ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص197.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه وأنه أعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة»[1]. فعند الانتقال بالكلام من التكلم إلى الخطاب يلتفت السامع وتنبعث فيه روح الاستماع والإقبال على المزيد بشغف لأن تحريك النفس ينجر عنه الانصياع، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [2]. وهي مكان قوله: ومالكم لا تعبدون الذي فطركم، فتكلم عن نفسه وهو يقصد غيره أي: ومالكم لا تعبدون الذي فطركم وفي قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لولا انه قصد ذلك لقال: الذي فطرني وإليه أرجع[3].

ففي الآية الكريمة المشار إليها التفات من المتكلم إلى المخاطب «وفائدته أنّه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه وهو يريد نصح قومه تلطفا وإعلاما بأنّه يريده لنفسه، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله عزّ وجل»[4] . فكأنه ينصح نفسه وهو يريد نصح غيره وفي هذا سرّ بلاغي عظيم في الدعوة إلى الدخول في دين الله عز وجل فكأنه قال اتبعوا سبيلي فأنا على هذا الدين فكونوا انتم أيضا كذلك. وسرّ الالتفات في هذه الآبية الكريمة هو الإقناع بإفراد الله عز وجل بالعبودية والتصديق بالمعاد.

ب-من التكلم إلى الغيبة:

هذا النوع من أنواع الالتفات يتعلق بنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة أي من الإسناد إلى ضمائر المتكلم إلى الإسناد إلى ضمائر الغائب «ووجهه أن يفهم السامع أنّ

---

[1]_ المصدر نفسه، ج3، ص 197.

[2]_ سورة يس: 22

[3]_ ينظر الزمخشري، الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط، م2، ج4، ص 11

[4]_ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 198.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا نمط المتكلم وقصده من السامع حضر أو غاب ... وأراد بالانتقال إلى الغيبة الإبقاء على المخاطب من قرعه في الوجه بسهام الهجر فالغيبة أروح له» [1]. لأن المخاطب إذا خوطب بالإسناد إلى الغائب يمكن أن يقرع في الوجه لأنه يعنّ له كأن الكلام لا يعينه وفي الحقيقة هو موجه إليه ويأخذ منه موضعا ألطف وأريح وأفيد لو استمر على النمط السابق.

ومثال هذا النوع قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (4) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (5) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (6)﴾ [2].

ففي قوله تعالى: ﴿ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ فهو من باب الإسناد إلى المتكلم وفي قوله تعالى: :﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ انتقال إلى الغيبة.

ج-**من الخطاب إلى التكلم**:وهو نقل الكلام من الإسناد إلى المخاطب إلى الإسناد المتكلم كقوله تعالى: ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72)إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73)﴾ [3].

د-**من الخطاب إلى الغيبة**: وهو أن ينتقل بالكلام من الخطاب إلى الغيبة كقوله تعالى: ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (70) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [4].

هـ-**من الغيبة إلى التكلم**: وهذا الضرب يتمثل في نقل الكلام من الغيبة إلى

---

[1]_المصدر نفسه، ص 198.

[2]_سورة الدخان: 4- 6.

[3]_سورة طه:72-73.

[4]_سورة الزخرف :70، 71.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التكلم كقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [1].

و-من الغيبة إلى الخطاب كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89)﴾ [2].

ي- بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكمله: ويكون التفاتا وذلك كقوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[3] بعد "أَنْعَمْتَ" فإن المعنى «غير الذين غضبت عليهم»[4] .

وقد يتكرر الالتفات في موضع واحد ويتفرع إلى عدة ألوان فقد ينتقل من الغيبة إلى المتكلم ثم إلى الغيبة وهذا وتبقى دائما هذه الأنواع من الالتفات تؤثر على المتلقي قد يكون غائبا فيحضر بكلمة واحدة إلى غير ذلك.

4- الإقناع:

4-1-تعريفه:

-**لغة**: قنع بنفسه قنعا وقناعة؛ رضي، ورجل قانع من قوم نُع، والمقنّع بفتح الميم العدل من الشهود، وقنع بالفتح قنوعا ذلّ للسؤال، وقيل سأل، [5]، وقيل القانع السائل، وقيل المتعفف، وكل يصلح، والرجل قانع وقنيع.

والإقناع أن يقع البعير رأسه إلى الحوض للشرب وهو مده ورأسه.

---

[1] _سورة الإسراء: 01.

[2] _ سورة مريم: 88-89.

[3] _ سورة الفاتحة:7.

[4] _ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3ن ص 203.

[5] _ سورة الحج: 36.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإقناع أن تضع الناقة عثنونها في الماء وترفع من رأسها قليلا إلى الماء لتجذبه اجتذابا[1].

-**اصطلاحا**: إن التعريف والمفهوم العلمي للإقناع فهو «عمليات فكرية وشكلية يحاول فيها أحد الطرفين التأثير على الآخر وإخضاعه لفكرة ما »[2].

يعتبر الإقناع رضا، وهذا الرضا يحصل على طريق تلك العمليات الفكرية والشكلية التي تؤثر على المخاطب، وبالتالي يخضع لفكرة ما، والعلاقة الدلالية التي تربط بين المدلول والاصطلاحي هب علاقة تكامل وانسجام، فالإقناع بالمعنى اللغوي هو الرضا بصفة عامة، وبالمعنى الاصطلاحي هو الخضوع لفكرة ما، والخضوع لهذه الفكرة لا يحص إلا بعد الرضا بها.

فالإقناع هو قبول الفكرة عن طريق المحاجة والمحاورة، لا عن طريق الفرض والإلزام، فهو عملية اتصال فالإقناع هو عملية اتصال.، لأن ذلك «يكون حسب المقام والجمهور الذي إليه الخطاب»[3].

4-2-الأسس التي يقوم عليها الإقناع:

إن للإقناع أسس يقوم عليها، منها: يسر الدين في مضمونه ووضوحه في لفظه ومعناه، ومنها الثراء والتنوع والتطور، ومنها المنطق السليم والاستناد إلى البرهان الصحيح، ومنها الكلمة الطيبة والأسلوب الحسن، وأخيرا التدرج المرحلي أثناء القيام

[1]_ ابن منظور، لسان العرب، مادة: قنع، مج8، ص 297-299.

[2]_ عبد الله بن محمد العوش، كيف تقنع الآخرين، ط3، دار العاصمة، السعودية، ص 18.

[3]_محمد العمري، في بلاغة الخطاب لإقناعي، ط2، إفريقيا، الشرق، المغرب، 2002، ص 97.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعملية الإقناع[1].

4-3-عناصر العملية الإقناعية

إن حدوث العملية الإقناعية يقوم على عدة عناصر، أعني أن العملية الإقناعية لا تتحقق إلاّ إذا توفرت جملة من العناصر، ويمكن حصر هذه العناصر فيمايلي:

أولا: المصدر: وهو الطرف الأساسي الذي يبدأ عملية الإقناع بنقل الرسالة إلى الطرف الآخر.

وللمصدر قواعد في نجاح عملية الإقناع منها: الثقة وتحصل بإظهار الاهتمام بمصالح المستقبلين، واختيار الوقت المناسب لتقديم الرسالة.

ومن قواعد المصدر أيضا، المصداقية ثم «مستوى المعرفة والدراية بما يدعو إليه وبما يحاول الإقناع والتأثير به»[2].

ثم إدراك العوامل النفسية للمستقبل، وأن يكون المصدر مقتنعا بما يدعو إليه ولو بعض الشيء.

---

[1] _ ينظر: خالد حسين حمدان، الإقناع أسسه وأهدافه في ضوء أسلوب القرآن الكريم، دراسة وصفية تحليلية، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، 1426هـ-2005م، ص4-6.

[2]-عبد الله بن محمد العوش، كيف تقنع الآخرين، ص27.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: الرسالة: هي لبّ الحديث الذي يراد الإقناع به، وهي كذلك الموضوع أو فحوى القضية، وهي الشيء المهم والأساسي في عملية الإقناع ولها قواعد، يجب الالتزام بها مثل الوضوح، إذ ينبغي أن تبتعد الرسالة عن الغموض والألغاز.

ومن قواعدها أيضا الشرح واحتواؤها على الجانب الإيحائي، ثم احتواؤها على الأدلة والبراهين والحجج القوية، وبعض الأمثلة التي تقرب الحقائق إلى ذهن المستقبل، وكذلك ضرب الأمثال. أضف إلى ذلك الابتعاد عن المواجهة بالمجادلة، وترتيب الموضوع ترتيبا منطقيا.

ثالثا: المستقبل: «وهو الطرف الآخر والمتلقي للرسالة والمتأثر بعمليات الإقناع فيها»[1]، ولنجاح عملية الإقناع ينبغي أن تراعى للمستقبل القواعد التي بفضلها تتحقق العملية الإقناعية، كالفروق الفردية بين المستقبلين وكالثقافة والتعليم والوضع النفسي والانفتاح الذهني وسعة الخيال وأخيرا البيئة والمجتمع.

رابعا: الهدف: «هو الذي لأجله قامت عملية الإقناع وتحركت فعاليتها ومن الضروري أن يكون هناك هدف يستحق القيام بالإقناع لأجله»[2].

فالهدف هو الذي من أجله وقع الخطاب، لأن المخاطب يسعى إلى تحقيق أهداف من خلال خطابه.

خامسا: الوسيلة: وهي تلك الوسائل التي يستخدمها المخاطب لتحقيق إقناع المخاطب.

---

[1]-المرجع نفسه، ص93.

[2]-المرجع نفسه، ص37.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قسمت الدراسات الإقناع إلى ثلاثة أنواع: «نوعين رئيسيين والنوع الثالث يعتمد على سمات تميل إلى أحد النوعين السابقين»[1]، وهي:

1-الإقناع المشترك: هذا الإقناع متبادل بين الطرفين، إذ يحدث ويقع بينهما معا، وينبغي أن ينطلق الاثنان من قاعدة واحدة، ويعتمدان على العقل والمنطق، وألا يسيطر أحدهما على الموقف بأساليبه الإقناعية، ويجب أن يشعر الطرفان بحاجتهما إلى بعضهما، كما يجب الابتعاد عن الأسلوب القهري.

2-الإقناع النزالي: وهو الإقناع الذي يكون بين طرفين متساويين ومتعادلين من حيث القوة في عملية الإقناع، ولكن يشعر أحدهما أنه ينبغي أن يسيطر على الموقف، ويفرض نفسه على الآخر، ويستمر النزال حتى يصل أحدهما إلى إقناع الآخر.

3-الإقناع الشمولي: هذا القسم من الإقناع يقوم على عدد من الافتراضات «وتجمع أساليبه بين أساليب النوعين السابقين»[2].

د-الإقناع القرآني:

اعتبر القرآن الكريم العقل القوة القادرة والصالحة للحكم على الأشياء، والميزان الذي توزن به القضايا وفسادها. ومن ثم فهو منهج المسلم في الحياة، وجعله الله سبحانه وتعالى في صيغته اللغوية خطابا منطقيا من حيث هو معان متلقاة في لغة يفهمها البشر هي اللغة العربية.

إن موضوع الإقناع هو فعل الصورة الحجاجية، والخطاب القرآني حقق هذا

[1]-ينظر: المرجع نفسه، ص41.

[2]-المرجع نفسه، ص44.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفعل بواسطة أفعال الكلام المنجزة.

ولقد تفنن القرآن الكريم في أساليب الإقناع واشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة والحجج «فالقرآن في خطابه للناس لا ينحصر في مخاطبة العقول بالبرهان المنطقي أو استعمال الدليل الجدلي، بل إنه يخاطب الوجدان، كذلك والتأثير على العاطفة وإيقاظ الفطرة من سباتها، ويوقظ الروح من منامها لأنه من تنزيل العليم الخبير»[1]، ولقد زاوج بين الترغيب والترهيب والنعيم والعذاب، وضرب الأمثال وسرد القصص بأسلوب رائع وأخاذ، كما عرض الأدلة المنطقية والبراهين العقلية.

5-دراسة نماذج تطبيقية لأسلوب الالتفات وأثره في إقناع المتلقي في سورة "يونس"

النموذج الأول: قال الله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (1) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾[2].

تضمنت الآية الكريمة التفاتا من الغيبة إلى التكلم في قوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ ﴾ وفائدته تكمن في عجب الناس من الوحي إلى رجل منهم.

وذلك أنهم «جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها، ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزائهم وإنكارهم»[3].

---

[1]-المرجع نفسه، ص177.

[2]_سورة يونس: 1-2.

[3]_ الزمخشري، الكشاف، م1، ج2، ص 244.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فبعد أن ذكر عجب الناس لفت الخطاب نحو التكلم إبراز للمتعجب منه. ويكمن دور الالتفات أيضا في إقناع المتلقي بإبطال العجب وأنه لا عجب من أن يوحى إلى رجل وإقناع له أيضا بكون الله سبحانه وتعالى يوحي لمن يشاء وأنه قوته فوق كل قوة. أضف إلى ذلك أن التعبير بالفعل "أَوْحَيْنَا" يفيد التجدد وصيغة المضي من الاستقرار تحقيقا لوقوع المتعجب منه وتجدده وذلك ما يزيدهم عمدا»[1].

وفي قوله تعالى: ﴿أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ التفات إلى الخطاب، وقوله "أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ " تفسيرية لفعل "أوحيْنَا" لأنّ «الإيحاء فيه معنى القول»[2].

ويكمن أثر الالتفات في إقناع المتلقي بالإنذار الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ والتبشير. فالإنذار إلى كل الناس أمّا البشارة فللذين آمنوا وهذه لطيفة بلاغية عظيمة، إذ قال ﴿أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ إذ ينذر كل الناس على اختلاف أصنافهم وعقائدهم أما البشارة فقال ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ فيختص بها الذين آمنوا وفي قوله تعالى: ﴿ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ التفات إلى الغيبة غايته الإقناع بالجزاء والبشارة التي حملها الرسولﷺ أضف إلى ذلك اطمئنان النفس إلى ما جاء به الرسولﷺ فلهذا الالتفات أثر فعال على المعنى. ويمكن ذلك في انقياد النفس إلى طريق الحق وإتباع الهدى. ألا ترى في قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ فيه سكن للنفس وركون لها. لما بشرت به، وهذا ما لا ينجرّ عنه إلاّ الإتباع المبين.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللهُ

[1]_الطاهر بن عاشور التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، د.ط، د.ت، م5، ج11ن ص 83.

[2]_ المصدر نفسه، م5، ج11، ص 84.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1]. التفات من الغيبة إلى الخطاب وغايته إقناع العقل بعبادة الله عز وجل، فبعد أن استدل سبحانه وتعالى على تفرده بالإلهية وذلك عن طريق قوله "إِنَّ رَبَّكُمُ" والخطاب للمشركين ولذلك أكدّ الخبر بحرف التوكيد وأقع عقبة»[2]. " أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ".

وبعد أن استدل على الإلهية بخلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استواؤه على العرش وتدبيره الأمر، وبعد أن استدل على عزته وكبريائه وذلك في قوله ﴿ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ وبعد أن ذكر تفرده بالإلهية والربوبية ثانية في الآية الكريمة لفت الكلام من الغيبة إلى الخطاب. وذلك أنه لما يستقر في العقل أن الله واحد وأنه خالق السموات والأرض في ستة أيام وأنه كذلك استوى العرش ويدبر الأمر. وأنه نفى الشفيع ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ فلما يأخذ هذا من العقل موضعا ومن القلب موسعا جاء قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللهُ﴾ وهي «جملة ابتدائية فذلكة للجمل التي قبلها ونتيجة لها هي معترضة بين تلك الجمل وبين الجملة ﴿ فَاعْبُدُوهُ ﴾ وتأكيد لمضمون الجملة الأصلية وهي جملة»[3] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ﴾. فلما يستقر كل هذا في العقل-والخطاب للمشركين- فلا مناص من الفرار مما يجيء بعده. لأن العقل أخذ حقه من الإقناع وأشبعه الأسلوب استدلالا وجادت عليه الألفاظ رحبا واسعا من المعاني السابغات، الناجمة عن التراكيب المعجزات. فبعد ذلك جاء نقل الكلام إلى الخطاب في قوله ﴿فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

فمجرد النقل ورد الأمر كي يجد موضعا من المأمور.

---

[1]_سورة يونس:3.

[2]_ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، م5، ج11، ص 87.

[3]_المصدر نفسه، م5، ج11، ص88.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويكمن أثر الالتفات في هذه الآية الكريمة في إقناع المتلقي بعبادة الله الواحد الأحد. وأنه لا إلاه غيره ولا رب سواه ولا خالق إلا هو ولا شفيع غيره ولا مدبر للأمور إلاّ هو.

فلفت المخاطب استقرار للأمر وامتثال للآمر. فياله من أسلوب مقنع جذّاب، ونقل ملفت خلابّ عجّت به أساليب الخطاب.

النموذج الثالث: قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1].

إنّ الآية الكريمة تتحدث عن مكذبي النبي ﷺ وهذا «أسلوب آخر من أساليب تكذيبهم النبي ﷺ أن يكون القرآن موحى إليه من الله تعالى»[2] فهم يعاندون ويكابرون.

وفي قوله تعالى:﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ التفات من الغيبة إلى التكلم وغاية ذلك انه إثبات للمتلقي بأن الآيات من عند الله. و إقناع له بأن ما نزل على سيدنا محمد ﷺ وهو كلام الله، ولم كان المعرض تكذيب لفت الحق سبحانه وتعالى الكلام إلى التكلم إثباتا وردّا على الإنكار.

وفي قوله تعالى: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

التفات إلى الخطاب وغرضه بيان الغيظ الذي حلّ بهؤلاء لما في القرآن «من ذم

---

[1]_ سورة يونس، الآية: 15.

[2]_الطاهر بن عاشور، التبرير والتنوير، م5، ج11، ص 115.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عبادة الأوثان والوعيد للمشركين» [1]. فذلك الغيظ الذي سكن قلوبهم وأصبحوا لا ينفكون عنه بحال جعلهم يطلبون من الرسول ﷺ أن يأتي بقرآن آخر. وتكمن فائدة الالتفات أيضا في تفضيع حال هؤلاء وأنهم لا يريدون الإيمان بأي حال من الأحوال. كما يكمن أثر الالتفات في إقناع المتلقين بكون هؤلاء المعاندين ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [2].

ومن أثر الالتفات في الإقناع هو كون القرآن من عند الله عز وجل وأنّ الرسول ﷺ لا يستطيع أن يبدل شيئا. أضف إلى ذلك أن من لطائف هذا الالتفات هو إنذار هؤلاء. وبيان أن جزاء المعصية العذاب وذلك في قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وإقناع لهم أيضا أن من اتبع غير ما جاء به القرآن فذلك مصيره؛ أي العذاب، وأن من ابتغى قرآن آخر فالنار مأواه وأنّ من كذب بآيات الله فبئس مثواه.

ويمكن القول أن لهذا الالتفات أثر في إقناع المتلقين بكون هؤلاء متعنتين، وذلك أنهم طلبوا من الرسولﷺ أن يأتي بقرآن آخر وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أنهم قالوا بطريقة أخرى أن هذا القرآن من عندك بدّله.

والسرّ الأعظم الذي يحمله هذا الالتفات هو كون هؤلاء عارفين الحق. ولأن القرآن معجز ولكنهم أرادوا التملص والتهرب وهذا ناجم عن دحضهم بالحجة الساطعة، إلاّ أنهم أشد بعدا عن السبل النافعة.

النموذج الرابع: قال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا

[1] _ الزمخشري، الكشاف، م2، ج2، ص 249.

[2] _ سورة البقرة: 18.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

تتحدث الآية الكريمة عن المشركين وهي عطف على جملة ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ فهو من عطف القصة على القصة[2].

فلما كانت هذه الآية الكريمة معطوفة على الآية المذكورة فإن هذا من باب عطف القصة على القصة.

فالقصد الأولى أنهم طلبوا قرآنا غير هذا والقصة الثانية أنهم يعبدون الأصنام ويقولون ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾.

«والمناسبة بين القصتين أن في كلتيهما كفرا أظهروه في صورة السخرية والاستهزاء وإيهام أن العذر لهم في الاسترسال على الكفر»[3] فكلتا القصتين تصور أحوال كفرهم وشركهم وتهربهم من الحق في الآية الكريمة التفات من الغيبة عند قوله عز وجل ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ ﴾ فكلام في البداية سيق مساق الغائب ثم عدل به إلى الخطاب وفائدة هذا العدول هو تنبيههم وإقناعهم ببطلان ما يفعلون وما يعتقدون، وفي الوقت نفسه هو إبراز ما هم عليه من الضلال والزيغ وهو أيضا لفت النظر إلى أنهم يتمسكون ببطلان ما يظنون وما يستيقنون.

أضف إلى ذلك أن في هذا الالتفات أثر كبير في إقناع هؤلاء بضلالهم إذ أنهم يعرفون بأن الله هو المتصرف. ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ فهم عن إتباع ما جاء به محمد ﷺعمون والغاية الأسمى من هذا الالتفات هو بيان الحالة العجيبة التي

---

[1]_سورة يونس:18.

[2]_ ينظر: التحرير والتنوير، م5، ج11،ص 124.

[3]_ المصدر نفسه، ج11، ص 124.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هم عليها والمتمثلة في استمرار عبادة الأصنام وتصميمهم على ذلك.

ثم لفت الحق سبحانه الكلام إلى الغائب وذلك في قوله ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ولهذا الالتفات دور في إقناع المتلقي بالوحدانية وأنه سبحانه وتعالى منزه عما يشركون أضف إلى ذلك أن فيه الإقناع بعظمة الله وأنه واحد أحد فرد صمد وأنه منزه عن الشريك وأنه تعالى يقولون ويعتقدون علوا كبيرا.

الخاتمة

بهذا أكون قد أتيت من خلال هذا المقال إلى إبراز أثر أسلوب الالتفات في إقناع المتلقين، ومعلوم أن أصناف المتلقين تختلف، وقدراتهم تتباين، ومقاماتهم تتعدد، إلا أن أسلوب القرآن يراعي كل تلك الجوانب المتعلقة بالمتلقي بغرض إقناعه وتوجيهه توجيه أسمى بغية الوصول إلى المراد.

فتلك الالتفاتات التي في القرآن الكريم، وتلك الالتفاتات التي تطرقنا إليها بالدراسة لها الأثر الفعال في إقناع العقل البشري بوحدانية الله عز وجل، وأنه لا رب سواه ولا معبود غيره.

أضف إلى ذلك تلك البشارة والإنذار الذي جاء به سيد الخلق عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. كما لها الأثر الفعال أيضا في إقناع العقل بعبادة الله عز وجل، وبصدق المعاد، وبإثبات نبوة محمد ﷺ.

ومجمل القول، فإن أسلوب الالتفات أسلوب بلاغي إقناعي، ويحصل ذلك الإقناع عن طريق إيقاظ النفس، والانتقال بها من حال في الكلام إلى حال أخرى، مما يجعلها تستيقظ، وتهب هبوبا لم تكن عليه من قبل. فهو مفارقة كلامية عجيبة وأسلوب بديعي خلاب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com